قطار أميركا السريع الذي يعبر رمال سيناء في طريقه الى الشرق الذي قال : لا . وان الذين يزودون هـذا القطار بالوقود قد يدركون أنهـم ، بذلك ، يريحون العدو الاسرائيلي [أما زال عدوا لهم في نظرهم ؟] مـن همومه الجنوبية ، ويعيدونه الى صوابه الكلاسيكي بالتحرك في مجالـه الحيوي [المشرق] مرتاحا الـى الضمانات الاميركية بابقـاء الجنوب الواسع مفتوحا علـى علاقاتـه الاستراتيجية الجديـدة [الاستهلاكية لمن هو قادر على الاستهلاك طبعا] . وهكذا ، بعد سبع وعشرين سنة من زمن الصراع ومهر الدم تم حفل الزفاف بين سلامة بعض الانظمة العربية وسلامة الامن الاسرائيلي ، وانتقلت الحرب مـن خط المواجهة العربي ـ الاسرائيلي الـى الصفوف العربية .

ولم تكن حرب بيروت الا انعكاسا ؛ ففي هذا المناخ وجد الانعزاليون الفرصة مواتية ـ في نظرهم ـ للانقضاض على المقاومة وعلى الحركة الوطنية لافتتاح محطة أنيقة للقطار الاميركي القادم من الجنوب . فهل كانت مصادفة أن تحترق بيروت ويسقط آلاف الضحايا في تشرين الثالث ؟ ان الذين عاد اليهم الوعي الاميركي فاغتالوا روح تشرين الاول قد وجدوا في دخان بيروت عباءة يسترون بها وجوههم الملطخـة بالقبل الاميركية ، فمر تشرين الثالث في هدوء وحياء . فما هي العلاقة ، اذن ، بـين حريق بيروت وبين حريق روح تشرين ؟ هل هي علاقة المصادفة ، أم علاقة الحظ ، ام علاقة الفضيحة ؟

□ اننا نرى الموت . ولكننا لا نيأس . وعمليات الدفاع التي يخوضها الفلسطينيون واللبنانيون ليست دفاع اليائسين أو الذاهبين الى الموت بلا ارادة . ان الحرب التي يشنها الانعزاليون ، المشبعون بروح الردة والتخاذل في الجو العربي ، هـي حرب اليأس . ومصدر الهامهم وتشجيعهم لا يأتي الا من الجفاف الوطني . ومصدر قوتنـا وصمودنا هو خصوبـة الملايين والمستقبل . ولقد تمكنت المقاومة الفلسطينية مـن الاعتراف بشرعيتها وتحمل مسؤولياتها نتيجة صلابتها وتعبيرها عـن حركة التاريخ واستعدادها اللامتناهي للتضحية . وبهذه القوة ، لن يستطيع أعداؤها الآن البرهنة على عجزها وعدم جدارتها بتحمل مسؤولياتها . ان المقاومـة تجتاز هذا الامتحان ، امتحان الجدارة والقدرة على تحمل المسؤولية بثقتهـا بالنفس وبالجماهير وبالحلفاء وبايمانها بحتمية النصر .

فليكن واضحا ان دفاعنا ليس سلبيا . .

وليكن واضحا واضحا واضحا أننا لسنا وحدنا . .

وليكن واضحا جدا ان الجسد الفلسطيني ينبض بدم مائة مليون عربي .

وليكن واضحا واضحا واضحا ان العرب لن يرضوا بانتحارهم . ولن تتحول القارة العربية الى راقصة في الملهى الاميركي .

اننا نرى الموت . ولكننا لا نيأس . . وسننتصر على الموت .

محمود درويش